

تفسير سورة الأنعام 63-68

تفسير سورة الأنعام 63-68

{قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَأَنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63)}

{قُلْ} يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله، ويدعونك لذلك {مَنْ يُنَجِّيكُمْ} يخلصكم ويسلمكم {مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} أي: من شدائدهما وأهوالهما والضللال فيهما، كانوا إذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك، دَعَوْا الله مخلصين له الدين فينجيهم، فذلك قوله تعالى: {تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} أي: علانية وسراً {لَأَنْ أَنْجَانَا} أي: يقولون لئن أنجانا الله {مِنْ هَذِهِ} يعني: من هذه الشدائد والأهوال التي في الظلمات {لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} لنكونن ممن يوحدك بالشكر، ويخلص لك العبادة دون من كنا نشركه معك في عبادتك، والشكر: هو معرفة النعمة والإقرار بها مع القيام بحقها.

{قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ (64)}

{قُلْ} لهؤلاء المشركين يا محمد {اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا} يسلمكم منها {وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ} والكرب: غاية الغم الذي يأخذ النفس {ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ} يريد أنهم يقرون أن الذي يدعونه عند الشدة هو الذي ينجيهم ثم يشركون معه الأصنام التي قد علموا أنها لا تضر ولا تنفع.

{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ

أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ
نُصِرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (65)

{قُلْ هُوَ {الله تبارك وتعالى} الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا
مِنْ فَوْقِكُمْ} يعني: الصيحة والحجارة والريح والطوفان، كما
فعل بعاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح {أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ}
يعني: الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون، وقيل:
{عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ} السلاطين الظلمة، ومن تحت أرجلكم العبيد
السوء وسفلة الناس، وقيل: {من فوقكم} من قبل كباركم و
{من تحت أرجلكم} أي من أسفل منكم {أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا} أي
يخلطكم ويجعلكم فرقا وأحزابا مفترقة، ويبث فيكم الأهواء
المختلفة، كما هو حاصل اليوم بذنوبنا {وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ
بَعْضٍ} يعني يقتل بعضكم بعضا، أي يسلط بعضكم على بعض
بالقتل والعذاب. وهذا هو الحاصل اليوم كما ترون.

أخرج البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه، قال: لَمَّا
نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ
فَوْقِكُمْ}، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعُوذُ
بِوَجْهِكَ»، قَالَ: {أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ}، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»
{أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَذَا أَهْوَنُ - أَوْ هَذَا أَيْسَرُ -"

{انْظُرْ} يا محمد {كَيْفَ نُصِرَفُ الْآيَاتِ} كيف نبين لهم الحجج
والدلالات {لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} ليفهموا ذلك ويعتبروا به ويتركوا ما هم
عليه من عبادة الأوثان والأصنام، والتكذيب بكتاب الله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم.

{وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (66)}

{وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ} أي: بالقرآن، كذبت به قريش {وَهُوَ الْحَقُّ} الذي ليس وراءه حق {قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} أي لست عليكم بحفيظ، ولست بموكل بكم، كقوله {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} {أي إنما عليّ البلاغ، وعليكم السمع والطاعة، فمن اتبعني سعد في الدنيا والآخرة، ومن خالفني فقد شقي في الدنيا والآخرة}

{لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} (67)

{لِكُلِّ نَبِيٍّ} خبر {مُسْتَقَرٌّ} يعني قرار يستقر عنده، ونهاية ينتهي إليها، فيتبين حقه وصدقه من كذبه وباطله {وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} أيها المكذبون بصحة ما أخبركم به من وعيد الله إياكم أيها المشركون وأنه حق عند حلول عذابه بكم.

{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (68)

{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا} يعني: في القرآن بالاستهزاء {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} فاتركهم ولا تجالسهم {حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} أي حتى يأخذوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب {وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ} نهينا {فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى} أي بعد أن تتذكر النهي {مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} الذين ظلموا أنفسهم بالاستهزاء بآيات الله، يعني: إذا جلست معهم ناسياً فقم من عندهم بعدما تذكرت.

قال ابن كثير: والمراد بذلك كل فرد فرد من آحاد الأمة، أن لا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير

مواضعها، فإن جلس أحد معهم ناسياً، {فلا تقعد بعد الذكرى}
بعد التذكر {مع القوم الظالمين} ولهذا ورد في الحديث "رفع عن
أمّتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"